

مدينة القلعة وطوبينيميا المجال في العصر الوسيط

إستقراء في النصوص التاريخية الوسيطة والمعطيات الأركيولوجية

The city of Qala'a and Tobinim domain in the Middle Ages
Extrapolation in the medieval historical texts and archaeological data



* عبد الكريم بصدیق

جامعة الحاج لخضر باتنة 1

Abdelkarim.bessedik@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/01 تاريخ القبول 2023/01/30 تاريخ النشر 2023/02/14



ملخص:

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية هامة تتمثل في تتبع التطور التاريخي و العمراني لمدينة القلعة في العصر الوسيط كمدينة هامشية في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط التي طرأت عليها تحولات عميقة إلى غاية مستهل العصر الحديث. ولهذا يتساءل الباحث حول إمكانية تتبع التطور التاريخي لهذه المدينة من بدايتها إلى غاية اكتمال ملامحها العمرانية. وهل يمكن دراسة احتمالات تغييرها في الفترة الممتدة من القرن 2هـ إلى 9هـ/9-15م.

يأتي تناول إشكالية التواصل الطوبونومي في المغرب الأوسط في أنموذج مدينة القلعة خلال العصر الوسيط كمحاولة لخوض هذه التجربة العلمية في منطقة مازالت مهمشة في الدراسات التاريخية الوسيطة خاصة وهي الفحوص الغربية. لا شك أنّ البحث في

* المؤلف المراسل

دلالات أسماء وتعبيرات المواقع والتضاريس الخاصة بمجال جغرافي محدّد يساعد على فهم الوقائع التاريخية والاجتماعية في سياق تفاعلها مع الفضاء الذي كان مسرحاً لها، ومن هنا يمكن القول بأهمية علم الأعلام الجغرافية أو المكانية، باعتباره من العلوم المساعدة في الدراسات التاريخية.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط؛ هواره؛ القلعة؛ العمران؛ بنو راشد؛ الآثار؛ المصادر التاريخية .

Abstract:

This study starts from an important problem represented in tracking the historical and urban development of the city of Qala'a in the medieval period as a marginal city in the history of the Middle East in the medieval era, which underwent profound transformations until the beginning of the modern era. Therefore, the researcher questions about the possibility of tracking the historical development of this city from its beginning Until the completion of its urban features. Is it possible to study the possibilities of its change in the period from the 2nd century AH to 9 AH / 9-15 A.D.

key words: word; Central Maghreb; City; al Qalaa, Architecture; markets ; monuments; historical sources

مقدّمة:

نستهدف الدراسة رصد المتغيرات الطوبونيمية الطارئة على حاضرة القلعة من كونها شملت البوادي والقرى والأرياف والأودية والسهول والهضاب، وذلك له مبررات أنثروبولوجية المتعلقة بالطبيعة البدوية بالمنطقة والتاريخية المساعدة على حدوثه. كما أردت خلال من خلال هذه المذكرة أن أساهم في هذا الحقل الطوبونيمي من حيث هو ميدان واسع يجمع بين التاريخ واللسانيات والجغرافيا التاريخية.

تتمحور إشكالية الدراسة حول التحولات التي طرأت على المجال الطوبونيمي تخصيصاً بمجال القلعة خلال الفترة الوسيطة؟ وتأثر أصل التسمية بعملية الأسلمة والتعريب التي واكبت الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب؟ وحدثت تواصل أو انقطاع

للطوبونيمات بالمجال القلعي خلال فترة معينة من الاطار الزمني للدراسة؟ أسئلة نريد الاجابة عليها من خلال النصوص العربية التي عاصرت الفترة الوسيطة من الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع/15م. تنطوي عن الاشكالية العامة عدة استفسارات:

- ما هي الظروف التاريخية المساهمة في الدفع لظهور هذا التبدیل الطوبونيمي في المجالات التي استوطنتها هوارة وبني و راشد ؟.

ثم أن الإشکال الدقیق أيضا یکن في طريقة التعامل مع مضمون المصادر الجغرافية التي واكبت هذا التبدیل الطوبونيمي مثل كتب الجغرافية والرحلة، مما یطرح السؤال حول الطريقة التوفيقية بین النص الجغرافي والنص التاريخي المتعلق بحیازة المجال من أجل استنباط الصورة الطوبونيمية ؟.

وقد اعتمدت في استخلاص المتغيرات الطوبونيمية المصاحبة للتطور الطوبونيمي لمحل القلعة على المقاربة بین النص الجغرافي والنص التاريخي، وسلکت في سبیل تفسیر ذلك طریق الاستقراء والتعلیل.

ثمّة صعوبات منهجية تتعلق بسکوت المادة المصدرية التي توضح مباشرة المتغيرات الطوبونيمية التي أحدثها استيطان قبيلة هوارة وبني راشد للمنطقة الجبلية والقرى. مما جعلني أركز على الوصف الجغرافي والدراسة الميدانية للمجال كطریق للتثبت من المتغيرات الطوبونيمية، ناهيك عن النقل والاقْتباس بین المتون الجغرافية المعاصرة لفترة الدراسة. مما جعلني أركز على ظاهرة حیازة المجال كطریق للتوصل لهذه المتغيرات.

تعد الطوبونيميا أحد فصول الجغرافية التاريخية، حيث استطاع الباحثون التأكيد على أنه علم قائم بذاته مرتبط بميادين بحثية أخرى، على غرار: اللسانيات، الأنثروبولوجيا، الايوجغرافيا، الاجتماع، وغيرها من الميادين الأخرى. وبفضل هذه النتائج

المتوصل إليها، يمكن الحديث عن مرجعية تسمية المواقع، مدلولها الجغرافي، تصنيفها الطوبونيمي، وكيفية وصولها بطابعها المعرب الحالي، انقطاعها أو تواصلها خلال فترات المختلفة من الدراسة.

1. مفهوم علم الطونيميا :

الطوبونيميا أو المواقع أو علم الأسماء¹ Toponymie-Toponymy والمشتقة من الكلمة اليونانية Topos والتي تعني المكان، و Onimme والتي تعني الاسم وهي العلم الذي يدرس أسماء الأماكن والمعروفة بالطوبونيمات Toponymes² فالمواقع علم لساني يهتم بدراسة معنى وأصل الأماكن والتطورات التي طرأت على هذا الاسم عبر الزمن فالعلاقة بين الاسم والمكان أي الدال والمدلول تنقل أحداث جرت في الماضي وتكشف عن علاقة الإنسان بذلك المكان³.

لقد مثلت مدرسة الحوليات الفرنسية منطلقا للجغرافية التاريخية، والتي تعد المواقع أحد فصولها المهمة، حيث يقدم لنا ألبار دوزا (Dauzat Albert) ، حقيقة أساسية مفاده أن الطوبونيميا هو علم من العلوم التي تدرس المواقع بشتى أصنافها مثل أسماء المدن، القرى، البلدان، الأنهار، الجبال... إلخ، وأشار إلى أن الطوبونيميا أو أسماء المواقع الجغرافية تقوم في الأساس على اللسانيات أو اللغويات⁴. في حين تشير قراءات شارل روستنغ (Charle Rostaing)، إلى أن الطوبونيميا هو العلم الذي يدرس مرجعية ومفهوم أسماء الأماكن وتطوراتها المتتالية، ويضيف بأنها تأخذ بعين الاعتبار أسماء الأماكن المأهولة، والمدن، والقرى، والأماكن المحلية، مثل تلك الموجودة في الجبال والأنهار، وهذه هي دراسة الأورونيميا والهيدرونيميا⁵.

وعلى درهم سار أرثورييلغرن (Arthur Pellegrin)، الذي صنف الطوبونيميا ضمن العلوم، رابطا إياه بدراسة أسماء الأماكن، في قوله: "الطوبونيميا هو البحث والوصف والشرح للمعاني التي ساعدت ولازالت تعين لتحديد جوانب الطبيعة وصلاتها بالحضور

البشري، ابتداء من مصطلحات الرشاد إلى غاية تعيين شوارع المدينة، مروراً بأسماء الينابيع والأنهار والجبال والقرى والمدن والبلدان⁶. بالنسبة للمغرب الإسلامي تزدوج اللغة لتشمل اللغة العربية واللغة الأمازيغية، حيث أنه في الكثير من الأحيان تأخذ تسميتها من أسماء الأماكن من خلال الولادة⁷.

مع جون لوك (Jean Loicq) تبرز الماهية والمرجعية العلمية للطوبونيميا، فهي تدرس أسماء الأماكن أو تعين جميع أسماء المواقع الجغرافية لقرية، أو منطقة، وما إلى ذلك... وهذا يعني أن الطوبونيميا هو فرع من اللسانيات (Linguistique)، وهو علم يمكن أيضاً أن يمارس وفقاً للوجه مزدوج، وصفي (synchronic) أو تاريخي (diachronique)⁸.

2. ميادين وتخصصات البحث في الطوبونيميا:

لا شك أن تسميات المعالم الجغرافية (المواقعية) مختلفة، فقد تكون منفردة، في حين قد نجد تسمية المواقعية مركبة أحياناً أخرى، والأمثلة في ذلك كثيرة، وعليه، فالطوبونيميا ارتبطت بالكثير من المصناعات، مما جعل الباحثون يحاولون تفصيلها، في أصناف محددة، ويمكن تلخيص بعض هذه الأصناف ومضامينها في الآتي:

- بالتضاريس: المرتبطة المواقع أسماء الجبل، الكاف، الذراع، الرأس، الثنية، الشعبة، الكدية، الفج⁹. ويطلق عليها تسمية الأورونيم¹⁰ Oronyme. ومن الأمثلة التي جاء ذكرها بالمجالات القلعية جبل / جبل فرحان / جبل توجان .

- الهيدرونيميا¹¹ Hydronyme وهي تعرف بالطوبونيميا المائية¹² بالمياه المرتبطة المواقع: عين، بئر، المنبع، الحمام، الوادي، تالة، الحاسي، الداية، الفيض، العقلة، الحوض، السبخة، الشط، العنصر¹³.

- الأثنونيم Ethnonyme: هي أسماء تستمد مرجعيتها من أصول مختلفة لكنها في الأخير كلها تشير إلى نوع واحد. أسماء المواقع المرتبطة بالعرق (الأثنية): شخصية قبلية، قبيلة، عشيرة¹⁴.

الأنثروبونيم *Lanthroponymie*: هي فرع معرفي يهتم بدراسة أسماء الأشخاص من زوايا النظر تختلف حسب مرجعيات الباحث ومشاركه¹⁵. إن الحاجة إلى دراسة الأنثروبونيمية هي ضرورة ملحة فيما يخص الموضوعية والشفافية عن تسمية الأشياء بمسمياتها المقدسة: أو الدينية بالمنظومة المرتبطة المواقع أسماء المتصوفة، المرابطون، المشايخ، العلماء، الفقهاء.

الهجونيوم¹⁶ *Hagionyme*. يختص بدراسة أسماء المواقع المرتبطة بأسماء الأشخاص: وهناك حالتين لهذا النوع، فقد يكون إسم الشخص لوحده المكون الوحيد للموقعية؛ في حين الحالة الثانية يكون فيها إسم الشخص جذر ثان مكون للموقعية، أي أن إسم المعلم الجغرافي مركب من إسم الشخص ودال آخر. ويحمل هذا الصنف تسمية: البيونيم *Éponyme*.

الهومونيم *Homonyme*: يختص بدراسة المواقع أسماء بها ونعني التركيبي: الشكل في بالتماثل تعلقة إثنان أو أكثر من أسماء الأماكن المتماثلة في الشكل التركيبي، وتنسب إلى مجالات جغرافية مختلفة.

3. الكتابة التاريخية من منظور طوبونيمي... التاريخ والطونيميا أية علاقة ؟:

يمكننا الجزم أن العلاقة التي تجمع بين الطوبونيميا والتاريخ هي علاقة مترابطة وطيدة إذ أنّ التاريخ هو مجال بحثي علمي والتاريخ هز العلم الخاص بالجهود الإنسانية أوهو حالة تستهدف الإجابة عن الأسئلة التي تتعلق بجهود البشرية في الماضي. وذلك لأن للموقعية والجغرافية التاريخية علاقة بهجرة الشعوب وانتقالاتها الديمغرافية وغزو الأقاليم والاستغلال ومراحل التعمير وتحرك السكان وتنقلهم والتنوع والتنظيم وتطبيق القوانين الجديدة عندما تصادف في منطقة ما تنتمي إلى ميز لغوي أسماء أماكن تنتمي إلى لغة أجنبية فقد يتطلب هذا بحثا تاريخيا حتى نحدد أصلها وانتمائها.

إن محاولة الإلمام بطبيعة العلاقة القائمة بين التاريخ والبحث التاريخي)، والطوبونيميا هي محاولة تبحث في الصلة القائمة والجسور الممتدة بينهما، انطلاقاً من البحث في الكيفية التي يمكن للبحث التاريخي أن يعتمد فيها على الطوبونيميا، في أن يكشف عن بعض الجوانب من ذاكرة المكان انطلاقاً من اسمه كما أنها خطوة نحو إعادة بناء ذاكرة المكان بإضاءة مكتسحة رامية للتعريف بأسماء الأماكن خطوة لن تتحقق إلا بالاستناد على منهج علمي صارم يقوم في توثيق المعلومة والرواية والحفر في عمق النص المصدري عبر خطوات علمية واضحة، والتحليل المركز الساعي إلى البناء النظري عبر نماذج تمثل مظهراً من مظاهر الوعي المكان بذاكرته¹⁷.

لقد تأكد من خلال بعض الأبحاث المنجزة في الطوبونيميا، أن لهذه الآلية حضور وصلة ونتائج مشتركة مع أغلب الحقول المعرفية التي منها حقل التاريخ، ذلك لأن البحث في التاريخ أثناء استرشاده بنتائج التحري الطوبونيمي¹⁸، يكون قد أعلن عن عدم استثنائية العلاقة بين الطوبونيميا والبحث التاريخي من جهة، كما يكون قد حدد من خلال المناقشة بعض المسلمات التي يلزم أن يكون فيها النقاش مستمراً إذ ليس ثمة موضوعية كاملة في كتابة التاريخ¹⁹.

كما نلاحظ أن هناك العديد من المصطلحات الجغرافية (الطوبونيمية) التي وردت في النصوص التاريخية اتخذت دلالات فكرية وسياسية واجتماعية واكبت التطور التاريخي الذي يشهده التاريخ²⁰. ومن أمثلة ذلك أسماء الأماكن بالمغرب الأوسط، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحقبات التاريخية التي مر بها المغرب الأوسط منذ نشأتها وعبر مراحل تاريخها، من خلال أسماء منحوها للمناطق التي عمروا بها، ولهذا الطوبونيميا في المغرب الأوسط تتميز بعدم الاستقرار فقد يجعل المكان الواحد عدة تسميات مختلفة ناتجة عن الهجرات والتحرر منها²¹. إن دواعي البحث في العلاقة بين الطوبونيميا، والتاريخ، هي علم الاجمال وهو

محاولة يعرض من خلالها أهمية البحث في قيمة أسماء الأماكن وعلاقتها بالبحث التاريخي عبر الإجابة عن أسئلة قيمتها في البحث.

4. نموذج القلعة كمجال بحثي طوبونيمي جديد :

إنّ مجال البحث في فترة انتقال المدينة من مرحلتها التاريخية الوسيطة إلى الفترة الحديثة لم تعالج بشكل يوضّح لنا كل الإشكاليات المونوغرافية الخاصة بمدينة القلعة التي لعبت دورا هاما في الحياة السياسية والاقتصادية، لتصل إلى مرحلة الحاضرة المركزية في مراحل تاريخية لاحقة ، وأخرى تراجعت بعد أن ميّزت ملامح الحياة الحضرية الأولى في بلاد المغرب الوسيط. إلّا أنّ تغييب النصوص العربية المتقدمة للقلعة يجعلنا أمام إشكالية تصنيف هذا النوع من الصروح العمرانية، فهل يمكن بعث الصورة الحضرية للقلعة في ظل هذا التغييب؟.

تم اختيار لموقع المجالات القلعية، من خلال رصد النصوص التاريخية والجغرافية المتوفرة، وتمت المعالجة انطلاقا من تتبع تواصل أو انقطاع كل طوبونيم على حدى بالمصادر الوسيطة، ومقارنة الشكل التركيبي فيها، مع العودة إلى حضور تسمية الموقع في مصادر التاريخ الوسيط بشتى أنواعها (الأدبية، الجغرافية، الرحلية،...)، ثم مقارنة الشكل التركيبي لاسم الموقع في المصادر الوسيطة ، وتحديد مرجعية الاسم، والتحويلات التي طرأت عليه من خلال تأثيرات عملية التعريب، مع التنبيه لوجود التصحيفات أو التحريفات، ثم محاولة الوصول في نهاية المطاف إلى مدلوله اللغوي. في حين، إذا ما تأكد انقطاع التسمية في مرحلة زمنية معينة للفترة الوسيطة، يتم إبراز التسمية الجديدة، ومحاولة تحديد و تبرير أسباب الانقطاع الطوبونيمي.

5. تأسيس مدينة القلعة وتطورها في باكورة العصر الوسيط :

تعددت مسميات المدينة طلية العصر الوسيط، ولعل أقدم نص جغرافي يقدم لنا معطيات عن أول اسم عرفت به هو الجبل" ، بحكم أن اليعقوبي من الرحالة الذين زاروا

بلاد المغرب خلال القرن الثالث الهجري، وكتبوا حول مسالكها وممالكها عن معاينة لا عن مطالعة وبالبرغم من قصور النص، يقول اليعقوبي: "ومن مدينة تاهرت وما يحوز عمل ابن أفلح الرستمي إلى مهلكة رجل من هواره يقال له ابن مسالة الإباضي، إلا أنه مخالف لابن أفلح يحاربه، ومدينته التي يسكنها يقال لها الجبل منها إلى مدينة يقال لها بلبل تقرب من البحر المالح (البحر المتوسط) مسيرة نصف يوم، ولها (أي المملكة) مزارع وقرى وعمارات وزرع وأشجار"²². يستفاد من الإشارة الواردة في النص أن اليعقوبي لما زار المدينة، قبل سنة 276هـ وهو التاريخ المفترض لكتابة رحلته الموسومة "البلدان"، حيث وجدها مسكونة أهلة وهو ما يعني أنها تأسست قبل هذا التاريخ بفترة وأنها كانت مركزاً أو عاصمة للمملكة الهوارية المستقلة عن تيهرت الرستمية، بزعامة ابن مصالة الهواري، وأنها كانت قريبة من مدينة بلبل الحالية (تبعد عنها شمالاً بحوالي 19 كلم) .

يرتبط تاريخ ظهور هذه المملكة بالأحداث التي عرفتها العاصمة الرستمية تيهرت على عهد الإمام الثاني عبد الوهاب الرستمي (168-208هـ)، فقد افتقرت في عهده طوائف الإباضية الذي كان يجمع القوى السياسية والقبلية ومختلف العناصر الفاعلة، وكانت أولى هذه الثورات وأخطرها حركة يزيد بن فندين وجماعته التي عرفت بالنيكار (الدرجيني، أ. (1974: ج1 (47). ، وانتهت بهزيمة الثوار من هواره وقرار فلولهم إلى جبل پنجان ذلك هو ملخص ثورة هواره التي انفرد ابن الصغير بذكر تفاصيلها²³ .

للأسف لا يحدد لنا ابن الصغير ولا المصادر الإباضية مجالاً زمنياً محدداً لانفصال هواره، ولا وقت وقوع المعركة، ويبدو مع ذلك أن هذا الحدث لم يقع إلا في نهاية حكم الإمام عبد الوهاب أول القرن الثالث الهجري. كما سكت ابن الصغير عن أخبار هواره المنهزمة إلى جبل پنجان، ، ووجد محمد بن مسالة شيخ هواره الوارد في نص اليعقوبي السالف الذكر، الفرصة مواتية للسيطرة على تيهرت، فاقتحمها دون عناء وصار أميرها وأدار شؤونها سبع سنوات. وفي سنة 268هـ دخلها الإمام الرستمي الخامس أبو اليقظان

بن أفلح بناء على ميثاق بينه وبين ابن مسالة بوساطة من نفوسة بعد حروب طويلة بين الطرفين²⁴.

نرجح أن يكون جبل توجان الذي لجأت إليه هوارة بعد هزيمتها أول القرن الثالث الهجري، هو نفسه جبال بني شقران الحالية الواقعة بين سهلي سيق والهبرة شمالا وسهل غريس جنوبا. ومن الواضح أن اختيار مكان بناء مدينة القلعة كان ينم عن خبرة ودراية بالموقع الذي استجاب للمتطلبات الوسيطة في تأسيس المدن. مع أننا نلاحظ صمت المصادر عن نشاط الهواريين في مدينتهم الجديدة القلعة خلال القرن الثالث الهجري، ولا عن علاقتهم بالقبائل المجاورة.

التطور الطوبونيمي لحاضرة القلعة التسمية والموقع عبر العصر الوسيط

التسمية	الموقع/الجهة/الابعاد/	الزمن	المصدر/الصفحة
مدينة الجبل	-تقرب يلل تبعد عن البحر مسيرة نصف يوم -مملكة رجل من هوارة يدعى ابن مسالة الاباضي -مزارع وقرى وعمارات وزرع واشجار	ق3هـ	البعقوي،البلدان،ص111
جبل بنجان	من قبيل هوارة . ثورة هوارة ضد الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي	أوائل ق3هـ	ابن الضغير،ص52.
جبل توجان	وقد ذكره الادريسي تحريفا بجبل فرحان .	ق4	ابن حوقل،ص89 المقدسي،ص56. الادريسي،ج1،ص251.
هوارة	-اهل جبل بوجان -استوطنوا الجبل بعد فرارهم من الفاطميين الى مكناسة لدى الامير موسى بن ابي العافية بمكناسة المغرب الاقصى.	ق4هـ	ابن حيان ،المقتبس،ج5،ص369.
عين الصفاصف	قرية كبيرة لها اثمار واشجار وفواكه ومنها سقي يلل . تبعد عن المعسكر مرحلة.	أواخر ق4هـ	ابن حوقل،ص89.
-قلعة هوارة -تاسقذالت	شرقي مستغام -على مقربة من تمزغان. قلعة في جبل بها ثمار وزمزارع يجري تحتها نهر سيرات	أواسط ق5هـ	البكري ص252.

		فحص سيرات غير عامر ولا اهل لان الخوف اجلى كله	
الادريسي، ج2، ص251.	ق6هـ	-الطرين من المعسكر الى جبل فرحان الى قرية عين -الصفاصف مرحلة . -تبعد عن يليل بمرحلة -فواكه كثيرة وزروع ونعم دارة	قرية عين الصفاصف
مجهول، الاستبصار، ص178.	أواخر ق6هـ	-تقع قرب تاهرت -قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار و اشجار ومزارع و اعناب ويسقيها نهر سيرات	قلعة هواره
ابن خلدون، العبر، ج6، ص170.	ق7-8هـ	قبائل هواره بالمغرب الاوسط وفيه قبيل مسراتة ومن بطونهم اهل الجبل المطل على البطحاء. رياسة بني اسحاق وقبلهم بني بلومي . ترجع قبيل هواره وخف ساكنة الجبل نتيجة اضطهادهم من قبل بني عبد الواد واجحفت لهم الظلامات وانقراض بني اسحاق.	قلعة هواره
ابن خلدون، العبر، ج7، ص171. التنسي، نظم الدر، ص254.	ق9هـ 866هـ	استوطنها بنو راشد الزناتيون من جبل راشد (جبل العمور) لجأ بنو راشد الى القلعة بعد غلبة عرب السويد من زغبة وصار حصنا لهم . ثورة ابي عبد الله محمد المتوكل على امير تلمسان حيث أتجه الى ارض بني راشد وعاصمتها القلعة .	قلعة بني راشد
الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج2، ص26:27.	ق10هـ بين سنتي 915هـ و 923هـ	-يمتد الإقليم على نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلا جهته الواقعة جنوبا كلها سهول (سهل غريس)، والواقعة شمالا كلها تقريبا مرتفعات جبال بني شقران) -أراضي صالحة للزراعة وأهل المرتفعات يسكنون دورا لاثقة جدا مبنية بمجران ويزرعون الحقول والكروم، ولهم قرى عديدة أهمها اشتان: الأولى تدعى قلعة هواره وتشتمل على نحو أربعين دارا للصناع والتجار،	قلعة بني راشد إقليم بني راشد

		<p>وهي مبنية على شكل قلعة في منحدر جبل بين الشعب وتُسمى الثانية المعسكر (معسكر حالياً) وبها يقيم خليفة الملك مع فرسانه وأهل السهول يقيمون في البادية ويعيشون تحت الخيام معتنين بما شيتهم، ولهم عدد وافر من الجمال والخيل، وهم أثرياء جدا يؤدون بعض الإتاوات إلى ملك تلمسان .</p>
--	--	--

تعليق: نستشف من خلال استنطاق المعطيات الواردة في مصادر الفترة الوسيطة، قد انتهت بنا إلى نتيجة مفادها: تواصل الحضور المحلي خلال تلك المرحلة التاريخية، سواء في المنطوق (اللسان) أو الطوبونيمي (الموقعية) باختلاف تصنيفاتها، كالمعلقة بالماء، والمتعلق بالتضاريس، والمرتبط بالقبائل، والمتصل بالنبات. مما يوحي بجن هذه المعالم الجغرافية قد اتسمت وحملت هذه الأسماء نتيجة تحثرها بواقعها التاريخي الذي طبع ذاكرة الموقع أوالجمال خلال تلك المرحلة.

6. تطور القلعة من القرن الثالث إلى أواخر السادس الهجريين (ق9-12م):

وفي خضم الصراع الشيعي الفاطمي قضت الدولة الفاطمية على الدول القائمة آنذاك ومنها الدولة الرستمية في المغرب الأوسط، لم تسلم هوارة من انتقام الفاطميين والذي كان عنيفا تجاه كل القبائل الراضية لمشروعهم السياسي والمذهبي، فاضطرت تحت ضرباتهم المتكررة إلى الهروب أو الإجفال بتعبير ابن خلدون من المغرب الأوسط إلى الصحراء وإلى المغرب الأقصى.

نرصد نصاً لابن خلدون يقول فيه : "وسرح عبيد الله المهدي ابنه أبا القاسم في العساكر إلى المغرب سنة 315هـ وعقد له على حرب محمد بن خزر وقومه فأجفلوا إلى الصحراء، واتبع آثارهم إلى ملوية فلاحقوا بسجلماسة"²⁵. وفي ذات السياق أورد ابن حيان القرطبي في المقتبس رسالة مؤرخة في سنة 323هـ كتبها موسى ابن أبي العافية، أمير مكناسة في شمال المغرب الأقصى، إلى حليفه الخليفة الأموي الناصر يطلعه على أحوال

بلاد المغرب حين لجأت إليه ابن أبي العافية) عن فرار قبائل المغرب الأوسط خوفا من الفاطميين²⁶.

ان المدقق في رسالة ابن أبي العافية يفهم أن هوارة كانت من القبائل التي طالها العنف الفاطمي، ولا غرابة في ذلك طالما أنها كانت من أركان الحلف الزناتي عدو الفاطميين الأول، وليس لدينا ما يثبت تعرض مدينة القلعة للخراب من طرف الفاطميين على غرار مدينة أفكان حين أقدموا على تخريبها سنة 347هـ.، وهل تم استغلال قلعة هوارة كقاعدة لمصالحهم العسكرية على غرار ما فعلوه بتيهرت .

خلال القرن الرابع يقدم لنا ابن حوقل صورة عن وصفه للمنطقة يقول: "ومن مدينة أفكان إلى المعسكر، قرية عظيمة لها أنهار وأشجار وفواكه، مرحلة، ومن المعسكر إلى جبل توجان إلى عين الصفاصف، قرية كبيرة لها عين وأنهار وأشجار ومنها سقي بلل، مرحلة، ومنها إلى بلل، مدينة ذات أنهار وفواكه، مرحلة²⁷. يندرج النص في سياق كلام ابن حوقل عن الطريق الذي سلكه من فاس إلى المسيلة، وقد أتى به مقلوبا، كما قال، لأنه سلكه من الغرب إلى الشرق، أي من المغرب الأقصى إلى إفريقية مرورا بالمغرب الأوسط. إن وصف ابن حوقل لعين الصفاصف وتحديد موقعها في جبل توجان يطابق مدينة القلعة التي تراجعت إلى قرية كبيرة حين زارها ابن حوقل، ولكن من البديهي ان تتراجع المدينة القلعة بحكم الحركة الانتقامية للقبائل المعارضة للوجود الفاطمي الفاطمية، كان وتبق تسمية المدينة "عين الصفاصف" فذلك مصطلح انفرد به، ولعله نسبها إلى العين التي كانت تتبع في أعلى المدينة.

خلال أواسط القرن الخامس الهجري يخبرنا البكري عن مدينة القلعة، وهو يتحدث عن الطريق من تيهرت إلى البحر المتوسط، فيقول: وبغربي مدينة مستغانم، على نحو ثلاثة أميال منها مدينة تامزگران وهي مدينة مسورة لها مسجد وجامع وعلى مقربة منها قلعة هوارة ويسمونها تاسقر الت، وهي قلعة في جبل لها نهار ومزارع وتحت هذه القلعة يجري

نهر سيرات، وهو النهر الذي يُسقى به فحوص سيرات، وطول الفحص نحو أربعين ميلا، ليس منه شيء إلا يناله ماء هذا النهر، إلا أنه اليوم عامر غير عامر ولا أهل فيه لأن الخوف أجلى أهله²⁸.

نستشف من النص ظهور اسم قلعة هوارة لأول مرة، وأن المدينة كانت تحمل اسم تاسقدالت التي أيضا، ويبدو من كلام البكري أن المدينة رغم تعريفها باسمين إلا أن التسمية الغالبة في عصره أي أواسط القرن الخامس الهجري، كانت هي قلعة هوارة وهو الاسم الذي اشتهرت به حتى القرن الثامن الهجري، تاريخ تحولها إلى قلعة بني راشد، وقد غطى هذا الاسم على جميع الأسماء السابقة مثل الجبل وعين الصفصف، وأخيرا تاسقدالت، بل أصبح يحل محل اسم قلعة بني راشد نفسه حتى بعد القرن الثامن الهجري.

يوحي كلام البكري بأن المدينة تقع على وادي سيرات (وادي الحمام) الذي يجري تحتها، وهذا غير صحيح ولكنه يجري قريبا منها في الجهة الشمالية الغربية قادما من عين أفكان ومارا بالمحمدية كما ذكرنا. ولكن الوادي الذي يجري أسفل المدينة هو وادي يلل حاليا، فهذا الوادي يتكون من رافدين:

الرافد الأيمن وهو الوادي الذي ينبع من جبل الناصور الواقع خلف جبل بربر فيأخذ الأسماء التالية وادي عبادي وادي بن حراج وادي الدبة وادي القلعة نسبة إلى المدينة، وبعد مسافة قليلة يلتقي مع الرافد الأيسر عند المكان المسمى الرابطة.الرافد الأيسر وهو الوادي الذي ينبع من ضواحي مدينة البرج شرق معسكر فيأخذ اسم وادي بومنجل وعند وصوله إلى عين مصراتة، على بعد حوالي 2500 متر جنوب غرب مدينة القلعة، يأخذ اسم وادي مصراتة ليلتقي مع الرافد الأيمن عند الرابطة²⁹.

ومن هذا المكان المسمى الرابطة الذي أشار إليه تروسال (Trousseau)³⁰، الواقع على بعد أقل من ثلاثة كيلومترات شمال القلعة، يأخذ الوادي اسم وادي يلل ويمر بجانب قرية السمار وبلدية سيدي سعادة ثم يخترق مدينة يلل ويصب في وادي مينا.

أما خلال منتصف القرن السادس الهجري، فإننا نصرف معلومات قليلة ومكررة عن المدينة وردت عند الجغرافية الإدريسي، وهو يصف الطريق من تلمسان إلى تنس، حين قال: ومن مدينة أفكان إلى المعسكر مرحلة، والمعسكر قرية عظيمة لها أنهار وثمار، ومنها إلى جبل فرحان مارا مع أسفله إلى قرية عين الصفاصف وبها فواكه كثيرة وزروع ونعم دارة ومنها إلى مدينة يلل مرحلة³¹. يتفق صاحب النص مع سابقه في وصف المدينة، ولكن أهم ما يلفت الانتباه في النص هو ظهور اسم عين الصفاصف من جديد، رغم اشتهار المدينة باسم قلعة هواره قبل هذا التاريخ بقرن من الزمن، وهذا ما يدل على أن الإدريسي لم يزر مدينة القلعة، ولم ينقل عن البكري، ولكنه نقل عما أثبتته ابن حوقل بخصوص هذا الطريق، وهو ما تكشفه لنا المقارنة بين النصين وتلك معضلة كبيرة تظل تواجه الاعتماد على كتب الجغرافيا والرحلات، ونقصد بها غياب الإطار الزمني الصحيح، فمن غير اللجوء إلى المقارنة تبقى معلومات هذا الصنف من الكتابة محل شك، فقد يوحى وصف الإدريسي للمدينة والطريق المسالك منها وإليها بأنه يخص القرن السادس الهجري، والحقيقة أنه يعود إلى القرن الرابع الهجري³².

وفي أواخر القرن السادس الهجري وهو يصف مدن بلاد المغرب الإسلامي يطالعنا صاحب كتاب الاستبصار عن المدينة قائلا: وقرب مدينة تاهرت قلعة هواره وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار و مزارع وأعنان، وتحتها فحص طوله نحو أربعين ميلا پشته نهر سيرات ويسقي أكثر أرضه، يسمى ذلك الفحص سيرات باسم النهر³³. لا يحمل النص أي جديد عن المدينة فهو يؤكد ما قاله سابقوه عن حصانتها وخصوصية جبلها وإشرافها على سهل سيرات، ولكنه يزيل اللبس الذي أثاره الإدريسي حول تسميتها، وهذا ما يؤكد أن صاحب الاستبصار إما أن يكون قد زار المدينة أو أنه نقل عن البكري³⁴.

7. تطور مدينة القلعة من القرن السابع الهجري (ق13م) إلى نهاية العصر الوسيط :

خلال هذه المرحلة يصرح عبد الرحمن ابن خلدون ببعض التفاصيل والأحداث التاريخية عن المدينة وذلك أثناء حديثه عن نفوذ قبائل هوارة وانتشارها في بلاد المغرب الإسلامي، حيث يقول: ومن أشهرهم قبائل هوارة بالمغرب الأوسط أهل الجبل المطل على البطحاء، وهو مشهور باسم هوارة، وفيه من مسراتة وغيرهم من بطونهم، ويُعرف رؤسائهم ببني إسحق. وكان الجبل من قبلهم فيما زعموا لبني يلومي، ظلما انقرضوا صار إليه هوارة وأوطنوه، وكانت رئاستهم في بني عبد العزيز منهم. ثم ظهر من بني عمهم رجل اسمه إسحق، واستعمله ملوك القلعة، وصارت رئاستهم في عقبه بني إسحق، واحتط كبيرهم محمد بن إسحق القلعة المنسوبة إليهم. وورث رئاسته فيهم أخوه حيون وصارت في عقبه واتصلوا بالسلطان أيام ملك بني عبد الواد على المغرب الأوسط، وانتظموا في شعائرتهم واستعمل أبو تاشفين من ملوكهم يعقوب بن يوسف بن حيون قائداً على بني توجين عندما عليهم على أمرهم، الفرض المفارم عليهم فقام بها أحسن قيام ودوّخ بلادهم وأذل من عزهم وبعد.

بعد أن غلب بنو مرين بني عبد الواد على المغرب الأوسط استعمل السلطان أبو الحسن، عبد الرحمن بن يعقوب على قبيلة هؤلاء ثم استعمل بعده عمه عبد الرحمن، ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن بن يوسف. ثم تلاشي حال هذا القبيل، وخف ساكن الجبل بها اضطهرتهم دولة بني عبد الواد، وأجحفت بهم في الظلامات، وانقرض بيت بني إسحق³⁵.

جاءت عبارات النص متسارعة ومختصرة حيث أو جزت فترة طويلة من تاريخ هذا القبيل الهواري الذي استوطن جبال بني شقران واشتهرت باسمه. لقد سكت ابن خلدون عن ذكر تاريخ تأسيس مدينة القلعة ومع ذلك يُستنتج من سباق كلامه أن ذلك كان في

أواخر القرن السادس أو بداية السابع الهجريين تاريخ انتقال الجبل من أيدي بني يلومي إلى هواره³⁶.

خلال النصف الأول من لاقرن الثامن الهجري إبان التوسع المريني للمغرب الأوسط على يد السلطان أبي الحسن، (737-749هـ)، سار هذا السلطان على نهج بني عبد الواد في استعمال ملوك القلعة لخدمته. وفي عبارته الأخيرة الواردة في النص السابق يوجز ابن خلدون نهاية ملوك القلعة من هواره وتلاشي حالهم على يد بني عبد الواد من غير تفصيل يُذكر، ولكن الغالب على الظن أن ذلك كان على عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني الذي حكم الدولة الزيانية منذ سنة 760هـ، تاريخ انتهاء الاحتلال المريني الذي تواصل أيام السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان واستمر حكم أبي حمو حتى سنة 791هـ. وبعد انقراض حكم بني إسحاق، خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وتلاشي حال هواره من الجبل الذي اشتهر باسمها، آل مصير هذا الجبل ومعه مدينة القلعة إلى أسرة بربرية أخرى، يتعلق الأمر ببني راشد الزناتيين نسبة إلى جدهم راشد وهو أخو بادين جد بني مرين وبني عبد الواد. وكانت مواطنهم في الصحراء بالجبل المعروف براشد جدهم³⁷.

ولما قامت دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط، وكان بنو راشد هؤلاء أحلافاً لهم زحفوا نحو التلول في الشمال وطفقوا يشنون الغارات على بسائط بني ورنير جنوب تلمسان حتى الجاهوم إلى الجبل المطل على تلمسان، وعلى بسائط قبيلة مديونة التي لجأت إلى جبال تسالة جنوب وهران، ثم انتهوا في رحلتهم بالزحف على السهول الجنوبية لجبل هواره الواقعة بين معسكر شمالاً وسعيدة جنوباً حيث كان استقرارهم وصار الجبل حصناً لهم، ويضيف ابن خلدون أن بني راشد حين استقروا في مواطنهم الجديدة صاروا أحلافاً لبني عبد الواد في فتنتهم مع بني توجين وبني مرين، وكانت رئاستهم في بيت من بيوتهم يعرفون ببني عمران، وكان القائم بما في أول أمرهم إبراهيم بن عمران، ثم

استبد عليه أخوه ونزمار، وبعد موته خلفه ابنه مقاتل فقتل عمه إبراهيم، وتفرقت من يومئذ رئاسة بني عمران بين بني إبراهيم وبني ونزمار، إلا أن رئاسة بني إبراهيم كانت أظهر. وتعاقب على رئاسة البيتين مجموعة من الأمراء ذكر ابن خلدون أسماءهم، ودورهم في الحياة السياسية، ومنهم أبو يحيى بن موسى من بني إبراهيم الذي اتهمه السلطان أبو حمو موسى الثاني بمداخلة بني مرين فقبض عليه وسجنه تم قتله سنة 768هـ، إلى أن انقرضت رئاستهم جميعا وذهب عزهم في أواخر القرن الثامن الهجري، وصاروا حولا (خدما) وجباية للدولة الزيانية³⁸.

ان المدقق لنص ابن خلدون التالي : "فلما ملك بنو راشد هذا الجبل، استوطنوه وصار حصنا لهم، ومجالاتهم في ساحته القبلية (الجنوبية)، إلى أن عليهم العرب عرب سويد عليها، وأجأوهم إلى الجبل المعروف بهم لهذا العهد³⁹. يفهم تأثر و هكذا تعرض بنو راشد، على أيدي عرب سويد من زغبة ولجأوا إلى جبل هواره وتحصنوا به، وصار معروفا بهم . نهاية القرن الثامن الهجري فحلت بذلك تسهية قلعة بني راشد محل تسمية قلعة هواره، على أن اسم هواره لم يختف نهائيا أمام الاسم اسم بني راشد ، بل ظل يتردد في القرون اللاحقة، وظلت المدينة تُعرف باللفظين، تارة باسم قلعة بني راشد، وباسم قلعة هواره تارة أخرى. لم يكن بنو راشد وحدهم من تعرض لرحف القبائل العربية ولكن الأمر يتعلق بحركة عامة، ذلك أن هذه القبائل التي كانت تسكن المناطق الجنوبية للمغرب الأوسط أخذت توجه أنظارها نحو أراضي التل الخصبة في الشمال لإنهاء ماشيتها بعد أن ذاقت حياة الشطف فلما رأت الفرصة قد سنحت لها للاستيلاء على تلك الأراضي طفقت جموعها تترفق عليها كالمثيل، متحدية كل الحواجز، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون.

وفي أواخر القرن الثامن الهجري(ق14م)، وتحديداً سنة 777هـ أمر السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني ابنه أبا تاشفين المستقر آنذاك في مدينة القلعة بمناصرة سويد

ضد بني عامر، فانطلق الجيش من القلعة بقيادة أبي تاشفين إلى معسكر بني عامر قرب أعالي وادي مينا، وجرت معركة طاحنة بين الطرفين انتهت بهزيمة بني عامر وقتل كثير من أبطالهم، ثم عاد أبو تاشفين منتصراً إلى القلعة حيث استراح أياماً، رحل بعدها إلى تلمسان بإذن من والده⁴⁰ ولم تفقد مدينة القلعة أهميتها بل سجلت حضورها حتى في فترات ضعف دولة بني عبد الواد، ففي سنة 866هـ تار أبو عبد الله محمد المتوكل على أمير تلمسان أحمد العاقل ولما نهض إليه من مليانة قاصراً تلمسان، اتجه إلى أرض بني راشد وعاصمتها القلعة ففتحها لأنها كانت محطة أساسية في طريقه، وفتح مستفام ووهران ثم دخل تلمسان⁴¹. ولما بلغ خبر هذه الحوادث السلطان أبا عمرو عثمان الحفصي، نهض بجيشه في السنة الموالية قاصراً، تلمسان وفي طريقه نزل هو الآخر أرض بني راشد، وهناك وافته الوفود من عرب سويد وبني عامر، كما قدم إليه وفد من تلمسان يضمن له بيعه السلطان المتوكل الزياني، فأجاب طلبه وقفل عائداً إلى بلاده⁴².

وفي أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث يطالعنا الحسن الوزان بنص مهم عن المدينة وهو يصف إقليم بني راشد، فقال إن هذا الإقليم يمتد على نحو خمسين ميلاً من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلاً جهته الواقعة جنوباً كلها سهول (سهل غريس)، والواقعة شمالاً كلها تقريباً مرتفعات جبال بني شقران)، لكن أراضيها معاً صالحة للزراعة وأهل المرتفعات يسكنون دوراً لائقة جداً مبنية بجدران ويزرعون الحبوب والكروم، ولهم قرى عديدة أهمها اشتان: الأولى تدعى قلعة هواره وتشتمل على نحو أربعين داراً للصناع والتجار، وهي مبنية على شكل قلعة في منحدر جبل بين الشعاب وتسمى الثانية المعسكر (معسكر حالياً) وبها يقيم خليفة الملك مع فرسانه وأهل السهول يقيمون في البادية ويعيشون تحت الخيام معتنين بها شيتهم، ولهم عدد وافر من الجمال والخيل، وهم أثرياء جداً يؤدون بعض الإتاوات إلى ملك تلمسان⁴³.

قام الحسن الوزان بزيارته للإقليم خلال الفترة بين سنتي 915هـ و 923هـ تاريخ احتلال الإسبان لمدينة وهران والمرسى الكبير، تاريخ دخول مدينة القلعة تحت نفوذ القائد عروج بن يعقوب التركي وقد أفادنا الوزان بالتحريير الجغرافية لهذا الإقليم الذي ترددت أصداؤه، في مصادر ما بعد القرن الثامن الهجري، باسم وطن أو أرض بني راشد، رغم أن سهوله الجنوبية استولى عليها عرب سويد. كما ربط الوزان الجبل ومدينة القلعة بهذه السهول الجنوبية، على عكس المصادر الجغرافية الوسيطة السابقة التي جعلت من سهل سيرات الشمالي مجالا زراعيا ارتكزت عليه المدينة. وفي إشارته إلى أهمية مدينة معسكر ما يوحي بأنها كانت في طريقها إلى أخذ مكائنها في الإقليم على حساب القلعة، وقد ولت الأحرار اللاحقة على صدق ملاحظة الوزان حول أهمية المدينتين فقد تحولتا على التوالي، بعد مدينة مازونة⁴⁴، إلى مقر البايك زمن الفترة العثمانية.

جدول يوضح المعطيات العمرانية والموارد الطبيعية في القلعة وضواحيها من خلال

الرحالة والجغرافيين في العصر الوسيط :

المصدر/الصفحة	الزمن	النشاط الاقتصادي	السكان/الديمغرافيا	الابعاد/المعطيات الطبيعية والمائية
اليقوي، البلدان، ص 111	ق3هـ	-مزارع وقرى وعمارات وزرع واشجار	تشرف على تجمعات قبلية وقرى .	يسمىها اليقوي: مدينة الجبل --تقرب يلل تبعد عن البحر مسيرة نصف يوم -مملكة رجل من هواره يدعى ابن مصالة الاباضي.
ابن حوقل ،ص89.	أواخر ق4هـ	-بها زراعة واشجار وفواكه	قرية كبيرة	يسمىها ابن حوقل: عين الصفافص - قرية كبيرة لها نخار. عين. - ومنها سقي يلل . - تبعد عن المعسكر مرحلة.
البكري ص252.	أواسط	-بها ثمار ومزارع يجري تحتها	فحص سيرات غير عامر ولا اهل لان	-قلعة هواره وتسمى :تاسقذالت شرقي مستغانم -على مقربة من

تمزغان. -قلعة جبيلة -نهر سيرات	الخوف اجلى كله	ق5هـ	
قرية عين الصفاصف: -الطريق من المعسكر الى جبل فرحان الى قرية عين -الصفاصف مرحلة . -تبعد عن ليل بمرحلة	؟	ق6هـ	-فواكه كثيرة وزروع ونعم داره
قلعة هواره: -تقع قرب تاهرت. -قلعة منيعه. - يسقيها نهر سيرات.	؟	أواخر ق6هـ	-نطاق جبلي خصيب. -البستنة والزراعة الشجرية -زراعة الكروم والفواكه
-قلعة هواره :وهي مبنية على شكل قلعة في منحدر جبل بين الشعاب. -يمتد الإقليم على نحو 50 ميلا من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من 25 ميلا جهته الواقعة جنوبا. -أراضي سهلية صالحة للزراعة.	- وأهل المرتفعات يسكنون دورا لائقة جدا مبنية بمجران . - نحو 40 أربعين داراً للصناع والتجار.	ق10هـ	- ويزرعون الحقول والكروم في المرتفعات . قلعة هواره وتشتمل على نحو أربعين دارا للصناع والتجار. - يؤدون بعض الإتاوات لتلمسان .
الوزان ، وصف افريقيا، ج2، ص27:26.			

خاتمة:

لا يمكن اعتبار هذه المساهمة المتواضعة دراسة وافية وشافية، بقدر ما هي نقطة في واد، إذ تشكل نقطة انطلاق لورش على قدر كبير من الأهمية، وبإمكان زملائنا مواصلة العمل فيه، من أجل توسيع البحث وإغناء هذه الدراسة و كسبها قيمة مضافة. ووجب التذكير

والإشارة إلى أن هذا المجهود لم يصل حد المسح الطبوغرافي والطوبونيمي التام للمجال الجغرافي المدروس؛ إذ أن مواقع وأماكن كثيرة لم تتمكن من جردها ودراستها .

وبما أن الأعلام الجغرافية تشي بعلاقة الإنسان وتفاعلاته المختلفة والمتعددة مع المجال وعناصره، فبدون أدنى شك أن البحث والتنقيب في الحقل الطوبونيمي، سيساهم في إعادة انتشال تاريخنا من أحوال التزوير عبر تفحص طبقاته (صفحاته)، وتنقيتها من توضعات وترسبات الكتابات المؤدجلة، وكشف الهوية الأصلية لهاته الجغرافيا التي تعرضت لطمس وتشويه متعمدين، لأن الحقيقة الوحيدة الثابتة من داخل التاريخ تبقى هي الجغرافيا .

يظهر مدى أهمية علم المواقع (الطوبونيميا)، بالنسبة لدراسات التاريخ المحلي للمناطق أو المجالات، فبعد البحث الذي تناولنا في جزء منه التحولات الطوبونيمية لمنطقة القلعة خلال الفترة الوسيطة، جاء الدور هذه المرة على المجال القلعي ، وهذا من خلال ما مر بنا من نماذج مثلة في طوبونيميا قلعة هوارة. وقد خلصنا إلى أن عملية التعريب المواكبة للأسلمة قد مست اللسان المحلي، وكان لها تأثير مباشر آخر على المعالم الجغرافية.

ومن النتائج المتوصل إليها تواصل الطوبونيم القلعة خلال الفترة الوسيطة في الفترة الحديثة، وقد تأكدا من أن التسمية المعربة (هوارة، بني راشد) ماهي إلا تعريب تام للأصل الذي لم نتأكد من مرجعيته، وهذا من خلال تتبعنا لحضور التسميات في المصادر العربية، والرجوع بالتاريخ فترة التي عاصرت الفترة الاسلامية، الامر الذي اتاح لنا ترجيحات للمدلول اللغوي للإسم، ومقاربات أخرى تخص المرجعية المحلية للتسمية من خلال المعطيات التي وفرتها لنا المعاجم اللغوية، والدراسات المتعلقة بالمواقع المحلية.

وفي الأخير، نتمنى أن نكون قد وفقنا في تدليل بعض الصعوبات المنهجية عن هذا الموضوع ، والمساهمة في حفظ الذاكرة المحلية لمنطقة القلعة التي تبقى هي الغاية الأسمى من

هذه الدراسة المتواضعة، وكذا إضفاء الطابع الأكاديمي وتحقيق البحث العلمي الموضوعي، وذلك بعيداً عن الذاتية التي حاولت جاهداً الإفلات من ردها، ولا ندعي أننا عاجلنا هذا الموضوع الشائك من كامل زواياه بل يبق الموضوع مجالاً مفتوحاً للبحث مستقبلاً.

الهوامش:

¹ -دريس محمد أمين، إشكالية ترجمة "الأسماء الواقعية من منظور استراتيجي"، ترجمة: jordan journal modern longuies ant littérature, Jordon, 2017, p 05.

² -محمد البركة وآخرون، الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، مطبعة إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص 14.

³ -هدية سارة، واقعية منطقة تلمسان دراسة لنماذج من بلدياتها، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان - الجزائر، 2007-2008 ص 4.

⁴ - Bien qu'elle tente souvent géographes et historiens, la Toponymie relève avant tout de Linguistique. Pour avoir méconnu cette vérité élémentaire». Albert Dauzat, de lieux: (Origine et évolution, Villes et villages, Pays, Cours d'eau, Montagnes), Lieux-dits, Bibliothèque des Chercheurs et des Curieux, Librairie Delagrave, 27** Édition, 1963, p. 3.

⁵ - De la Toponymie elle envisage aussi les noms des lieux habités, ville, villages, et lieux-dits, que ceux des montagnes et des rivières, et c'est l'étude de l'onymie et de l'hydronomie. Charle Rostaing, Les noms de lieux (Que Sais-je), Paris, presses universitaires de France, 8 Édition, 1974, p.5 et 7.

⁶ -Est recherche, description et explication des vocables ayant servi ou servant encore à désigner les aspects de la nature dans ses rapports avec la présence humaine, depuis les termes d'orientation jusqu'aux désignations des rues d'une ville, en passant par les noms des sources, des rivières, des montagnes, des villages, des cités et des pays. A. Pellegrin, Essai sur les noms des lieux D'Algérie et de Tunisie (Etymologie, Signification), Edition S. A. P. I, Tunis, 1949, p.

⁷ -مبارك مبارك : معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت لبنان، 1995، ص 291.

⁸ - "Jean Loicq, «La toponymie ou science des noms de lieux- Son application au patrimoine celtique de l'Ardenne», Folia Electronica Classica (Louvain-la-Neuve), 5(2003). <http://bcs.filtr.ucl.ac.be/FE/05/toponymie.html>.

⁹ -Brahim Atoui, Toponymie et espace en Algérie, Thèse de Doctorat, sous la direction de: Marc Cote, Université de Provence - Aix-Marseille I, France, 1996, p. 109.

¹⁰ -Kadmon Naftali, Glossaire de la Terminologie Toponymique», la Commission de toponymie de l'Institut Géographique National de Franceet par la Commission de toponymie du Québec, Paris et Québec, 1997, p. 22. Glossaire de la Terminologie Toponymique », la Commission de toponymie del'Institut Géographique National de Franceet par la Commission de toponymie du Québec, Paris et Québec, 1997, p21.

¹¹-Arthur Pellegrin, Essai sur les noms des lieux d'Algérie et de Tunisie (Etymologie, Signification), Edition S. A. P. I, Tunis, 1949, p. 159.

¹²-الصادق زباني، التحولات الطوبونيمية بالمجالات الكتابية من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع/

15م-دراسة نماذج -،مجلة مدارات تاريخية، 59-36، Volume 1, Numéro 5, Pages 36-59، ص 240.

¹³-Brahim Atoui, op. cit., p. 85-93; Tilmatine Mohand, Toponymie et aménagement linguistique: vers une terminologie amazighe?, Acte du colloque international aménagement linguistique: bilan et perspectives 12-13 et 14 mars 2012x, Revue Iles D Imesli, Univ-Tizi Ouzou, Algérie, 4 (2012), p. 112.

¹⁴-ساعد خديجة، الطوبونيميا الأمازيغية (أسماء وأماكن من الأوراس، دار النشر أنزار، بسكرة الجزائر 2017م، ج 1،

ص 6. عن هذا راجع:

« Ethnonyme: Nom de personne ou de groupe humain utilisé dans la dénomination des lieux ». « Glossaire de la Terminologie Toponymique », op. cit., p. 13 ; Ouerdia Yermèche, «L'anthroponymie algérienne : entre rupture et continuité ? », p. 50.

¹⁵ - محمد سعيد الريحاني، الاسم المغربي وإرادة التفرّد، مطبعة سليكي وإخوانه، فاس المغرب، 2009، ص 09.

¹⁶-Christian Bonnaillie, Jean-Marc Nicole, Judith Roy, «Le processus de formation et d'évolution des Hagionymes, Cahiers de géographie du Québec, 16 (1972), p. 99

¹⁷-محمد البركة المرجع السابق، ص 14.

¹⁸ - ريمة لزرق، المتغيرات الطوبونيمية من خلال حضور العرب الهلالية في بلاد المغرب الاوسط(5-9هـ/11-15م)،

مذكرة ماستر، تخصص الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2020/2019م، ص12.

¹⁹ - حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (دت)،

ج 1، ص 271.

²⁰ - عبد الله العروي: مفهوم التاريخ المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء المغرب، 2009، ص32.

²¹ - العيفة الحاج، دراسة لمخطوط قلعة بني راشد المجلة التاريخية للمخطونات الجزائر عدد 2013، 4م، ص253.

²² - اليعقوبي، أحمد بن واضح. كتاب البلدان. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988م، ص111.

²³ ابن الصغير، المالكي، أخبار الأئمة الرستميين بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص52.

²⁴ - المصدر نفسه، ص84.

²⁵ - ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان

الأكبر، مج7، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص31.

²⁶ - ابن حيان، القرطبي، المقتبس، ج5، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979م، ص369.

²⁷ - ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي دون تاريخ) كتاب صورة الأرض. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ص89.

²⁸ -البكري، أبو عبيد عبد الله، المسالك والممالك، مجلد2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م، ص252.

²⁹ -بن معمر محمد، حفریات في تاريخ قلعة هواره من التأسيس إلى نهاية العصر الوسيط، مجلة المواقف، العدد الاول،

المجلد12، ديسمبر 2017م، ص 121.

³⁰-Troussel, M. (1927). «Kalaa (des Beni-Rached)». Bulletin de la Société de Géographie et D'archéologie d'Oran (BSGAO), T (47), p. (29-57 et 101- 131)

³¹-الإدریسی، أبو عبد الله محمد (1994). نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1 القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م، ص251.

³²-بن معمر محمد، المرجع السابق، ص124.

³³- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار نشر وتعليق سع زغلول عب الحمي دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1985م، ص178.

³⁴-بن معمر محمد، المرجع السابق، ص126.

³⁵-ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، مج7، ص170.

³⁶-Graille, E(Graille, E. (1913). «Notice Historique sur Qala'a des Beni Rached >>. Revue du monde musulman, T. (22), p260.

³⁷-يقصد بها جبال العمور تنتمي لسلسلة جبال الأطلس الصحراوي تقع وسط الجزائر.

³⁸- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، مج7: 181.

³⁹- نفسه، ص181.

⁴⁰- نفسه، ص182.

⁴¹-التنسي، نظم الدرّ والعقيان في شرف بني زيان، الجزائر، تحقيق وتعليق: محمود اغا بوعباد، ENAG، الجزائر، 2011م، ص254.

⁴²-الزركشي، أبو عبد الله ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. تونس: المكتبة العتيقة، 1966م، ص152)

⁴³- الوزان الحسن بن محمد. وصف إفريقيا. بيروت، دار الغرب الإسلامي 1983م، ص: 27.

⁴⁴-بن معمر محمد، المرجع السابق، ص128.